

عنوان البرنامج: تفكيك خطاب التطرف
الوحدة الأولى: حلم الوحدة: المفهوم والمقتضيات
الدرس الثاني: حلم الوحدة (المفهوم)
اسم المحاضر: الدكتور أحمد عبادي

حلم الوحدة (المفهوم)

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
تتمة لحديثنا الذي بدأناه آنفاً حول جذور التطرف، اليوم سوف نتطرق لمسألة الأحلام الأربعة،
والتي كانت تمور في باطن هذه الأمة ولا سيما منها حلم الوحدة، وحلم الكرامة، وحلم الصفاء،
وحلم الخلاص.

اليوم سوف نتحدث عن حلم الوحدة؛ وهو حلم لا شك أنه يرتبط في بواطن المسلمات
والمسلمين بالعهدة بالسُّؤدَد وبالاستذكار؛ الذي كان في زمن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه
التوجيهات الربانية المباركة، حيث كان الناس مُلتفتين حول كلام الله تعالى، وحول سنة سيدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم.

طبعاً لم تكن هذه الوحدة تخلو من اختراقات، لكن بعد ذلك صارت هذه الأمة من أظهر الأمم
على وجه هذا الكويكب، واخترقتها أضرب من الخلافات إثر ذلك؛ لأن هذا السعي الذي كان لهذه
الأمة من أجل تبليغ هذه الرسالة للعالمين لم يكن يمر دون أن يُتلقَّف من قِبَل الذين ليست لهم في هذا
الانتشار مصلحة سواء من الداخل أو من الخارج.

فوقعت مواقع من مثل الأمور في زمن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه حرب أو حروب الرّدة، ثم بعد
ذلك ما كان في زمن سيدنا عمر رضي الله عنه من محاولات الخروج والزحزحات على عهد تيار السبئية،
ثم ما كان في زمن سيدنا عثمان رضي الله عنه الذي قُتل فوق مصحفه، ثم ما كان في زمن سيدنا علي
رضي الله عنه الذي قتل، والصراعات التي تلت إلى أن أكرم هذه الأمة بعامل الجماعة، واستأنفت هذه
الوحدة بالشكل الذي استقرت عليه.

ثم كان الصراعات بعد ذلك في زمن الأمويين، وفي زمن العباسيين، ثم استمرت هذه الأمور التي للأسف لم تتم موقعتها ضمن المنظومة الكلية التي جاء بها الوحي الخاتم من أجل العلاج لها بالشكل المرتضى الذي وجه إليه المولى الباري سبحانه وتعالى، فبقيت في بواطن المسلمين هذه الأشواق لهذه الوحدة، وقد تم استعمال هذه الأشواق في بعض الأحيان بطريقة غير سليمة بحيث جاء من يرفع هذا اللواء؛ لواء الوحدة لكي يتسلط بعد ذلك، ولكي يُوظف هذا الائتام وهذا الاجتماع من أجل مصلحة أسرة، أو من أجل مصلحة ذاتية، أو من أجل عرضٍ من الدنيا قريب وقريب.

فهذه الأمور بفضل الله عزّ وجلّ لم تكن على هذه الشاكلة في هذه الربوع التي كانت على ضفاف ما كان يُسمّى آنذ بحر الظلمات، وما كان يُسمّى مغرباً أقصى قبل اكتشاف القارتين الأمريكيتين الشمالية والجنوبية، فكانت هذه المنطقة هي أفاصي الأرض، وأفاصي الكوكب حيث لا يعلم شيء وراءها إلى حدود الاكتشافات التي كانت قبل 1492م وفي 1492م، وبعدها حيث استمرت هذه الاكتشافات.

لكن هذه الأرض كانت مفرعاً ملجأً لأولئك الذين كانوا يُضطهدون في بؤبؤ العالم الإسلامي؛ أي في العواصم سواء كانت دمشق أو كانت بغداد، أو كانت العواصم الأخرى التي تحركت حولها وفي طاويها ومسارها هذه الأحكام والتمظهرات للعالم الإسلامي وقتئذ، إلى أن استقر الأمر بفضل الله تعالى بهذا الثغر الذي حمى الله عزّ وجلّ به ظهر الأمة قروناً طويلة، وحمى به الإسلام في الأندلس، وانبت هذه الإمامة العظمى بالشكل الذي رأيناه.

لما أعلنت نهاية الخلافة العثمانية وجدت عدد من الدول نفسها في مقام اليتيم، وبالتالي بدأت تبحث مرة أخرى عن محضن، بدأت تبحث عن خلافة، بدأت تبحث مرة أخرى عن رفع هذا اللواء. هنا في هذا البلد المبارك الكريم لم يكن المشكل والله الحمد قائماً، لكن هذه المسألة حدت بعدد من العلماء ومن الفقهاء ومن النظار إلى أن يتيمموا شطر حل ترى أنه دائم ساعته وهو أنه الخلافة سقطت وجب أن تُبنى الخلافة.

وكان هذا الحلم؛ حلم الوحدة بأيدي معينة ربما في كثير من الأحيان، أخطأت في إِبصار المقومّات، والمعتمدات، والشروط، والمستلزمات، والتطلّبات التي لا بد من التأسيس عليها لبناء هذه الخلافة، ومن ثم فإن الأمر قد أدى إلى الإشكال الذي رأيناه.

هذه القضية تم اقتناصها من قبل بعض الذين رفعوا هذا اللّواء دون أن تكون عندهم المقومات، ولا الشروط، ولا المستلزمات، ولا التطلّبات لرفع مثل هذا اللّواء، لكن بناءً على تأسيس الأشواق التي كانت عند المسلمين والمسلمات.

حلم الوحدة إذن تم اجتياله من قبل طوائف ممّن لم يستجمعوا الشروط ولا المستلزمات، ولا التطلّبات، ولا المقتضيات، وبدؤا في عملية استقطاب توجّحت من مدخل الحيلّ الفقهية بإعلان الإمارة للمؤمنين، وليست ثمة شروطها التي نصّ عليها علماء هذه الأمة، وما ذلكم إلا لفتح ذرائع الخروج من الموت ميتة جاهلية؛ لأن من مات وليست في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية، كذا في نصوصنا المباركة، فإذا هم كأنهم أعطوا هذه الذريعة لكن دون البحث عن شروط هذه الخلافة.

أيضا قضية إعلان الجهاد وليست ثمة شروطه ولا دواعيه، ولا المعطيات التي يتم عليها تأسيس مثل هذا القرار الذي به حياة وموت وطوائف من العالمين.

سوف نعود إن شاء الله في تعميق الحديث على مسألة الجذور إتماماً لحديثنا على الوحدة، ومروراً للحديث عن الكرامة، ولكن الخلاصة التي نريد أن ننقل بها هي أن هذا التأسيس الذي نراه اليوم هو تأسيس قد وظّف جراحات لاجتيال أبناء وبنات هذه الأمة، وسوف نعود إلى تفكيك هذه القضية في لقاء قادم بإذن الله تعالى إلى ذلكم الحين، أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.